إخوانى العمال

كلمة حضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا
فى حفلة تكريم عمال ترام القاهرة لمعاليه

أيها العمال :

أشكر لكم هذا التكريم الذى أنتم أولى به منى ، وأحيى فيكم هذا الوفاء الذى ملك على وجدانى وقلبى . وأرحب بكم ولو أن الدعوة دعوتكم ، وأكرمكم ولو أن هذا الحفل هو حفلكم أنتم . . .

ولا عجب فى ذلك — فقد اعتبرت نفسى واحدا منكم ، منذ اليوم الذى انتخبتمونى فيه رئيسا فخريا لروابطكم ، ولهذا ترددت كثيرا فى قبول هذه الدعوة ، وحاولت الاعتذار مرارا عن حضور هذه الحفلة . . لكنكم لم تتركوا لى فرصة للتردد أو الاعتذار ، وأبيتم إلا أن تكرمونى . .

ولا أدرى علام كل ذلك ؟ ولست إلا جنديا مثلكم يؤدى عملا كما تؤدون . . ويخدم الوطن مثلما تخدمون . . فهل صنعت من أجلكم غير الواجب وما يرضى الضمير ؟ اللهم لا . . بل إنى لأعود فأتهم نفسى بالتقصير ! فما زال لكم فى عنق دين — وأنه لكبير .

لقد لبيت دعوتكم ، وحضرت حفلكم ، لا ابتغاء تكريمى ، ولا لسماع آيات مديحى وتعظيمى . . ولكن لغرض واحد ورغبة واحدة : هى هذه الفرصة الغالية ، فرصة الاجتماع بكم والتحدث إليكم ، والاستماع إلى ما تقولون وما تطلبون . . فما عرفت سعادة تغمر قلبى ، ولا غبطة تملأ روحى ، كالغبطة والسعادة بلقائكم ، والكلام من فوق منابركم ، بل والدفاع عن قضيتكم . . .

وإنكم لتشيدون بقدولى رياستكم الفخرية ، وكم تمنيت أن تكون هذه الرياسة عملية ، لولا مسئوليات أخرى ، ولولا تبعات كبرى ، هى أمانة فى عنق الآن لسائر المواطنين .

وما الرياسة الفخرية التى أردتمونى لها ، وما هذه العواطف الخالصة التى أحطتمونى بها وما قلوبكم وجسومكم المتراصة هنا ، وما أرواحكم المرفرفة على اجتماعنا هذا ، ما كل هذا ولا ذاك ، إلا وسام فخر صنعه الوفاء والاخلاص لرجل منكم ، عمل من أجلكم بعض ما تستحقون ، ويطلب من الله العون على تحقيق ما بقى مما تريدون .

أيها العمال : لقد صبرتم على ظلام الليل حتى أشرق نور الصباح ، صبرتم على الكرب حتى أتى الفرج الوضاح ، صبرتم على الحق الضائع حتى أقبل العدل فى ركاب حكومة الشعب ، صبرتم على الظلم والظالمين حتى انتصرت لكم عدالة السماء . .

وهل نهاية الصبر غير هذا الفرج ؟

وهل نهاية الكرب غير هذا الفرج ؟

وهل نهاية الظلام سوى هذا النور ؟

ألا إن كل حق مسلوب لا بد له حينا أن يعود ، وكلمة الحق لا بد لها يوما أن تسود ، وخاتمة الطغاة نصر محتوم للمغلوبين . . فالله أكبر — قل جاء الحق وزهق الباطل — وما النصر إلا من عند الله يؤتيه من يشاء ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

لقد سمعت بقلبي خطباءكم وشعراءكم ، ووعت روحي وسعدت نفسي بما نثروا وما نظموا . . ويعلم الله أن ما قالوا ليس حروفا ولا كلمات . ولكنها وثائق ومستندات ، وثائق تشهد أمام الدنيا بما بلغه العامل المصرى من نهضة وعزة وكرامة . ومستندات تدمغ عهود الظلم بطابع العار . . عار حكام بخلوا عليكم بأقل نصيب من حق الحياة . .

على أن هذه الكلمات وهذه الأشعار تعتبر فى الوقت ذاته — أيها الإخوان — أكاليل فخار على رأس حكومة الشعب ، بل إكليل مجد وفخار على جبين مصطفى النحاس . .

وهذه حكومتنا قد وفت بما عاهدت عليه عمالها الأخيار . وهذا زعيمنا يرى فيكم أعز الأوفياء وأخلص الأنصار . .

فاذ رأيتم منا إنصافا فهو حقكم علينا ، وإذا لمستم فى حكم عدلا فهو أمانتكم عندنا ، وإذا وجدتم منا تلبية لمطالبكم فاعلموا أنها هى مطالبنا . فطيبوا نفسا بهذا العهد ، فانه عهدكم ، وبهذه الأيام فانها أيامكم ، وبهذا الحكم فانه حكمكم . . وكل مالنا فيه أننا نحكم باسمكم ، بل نحكم فيه بما أنزل الله — وما أنزل الله غير العدل والرحمة . ونصرة الحق وانصاف المظلوم . .

لقد مر بكم — أيها العمال — عهود لم تشهدوا فيها ظلا للعدل ، ولا شيئا من الرحمة ، ولا استماعا لكلمة الحق ، حتى أراد الله لهذه العهود أن تمحى . ولتلك الأيام أن تمضى . أراد لصوت الحق أن ينتصر ، ولكلمة الأمة أن تعلو وتردهر . فجاء بنا نحن خدام الشعب — إلى مقعد الربان — لنسير بسفينة البلاد إلى شاطئ الأمان . .

وشجرتكم — أيها العمال — شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، لأنكم خير عدة تسير بها مصر قدما فى مضمار الحضارة والحرية . وأفضل سلاح تنتصر به مصر فى ميدان المنافسة العالمية .

ومن هنا يبدأ دوركم — ياعمال مصر — من هنا تتقدم الصناعة لتقول هذا واجبى . لقد برهنتم فى خلال هذه الحرب على أنكم أهل لهذه الرسالة . وأنكم أوفى الناس بهذه المعاملة حتى شهد الجميع بأن العامل المصرى يعد من أذكى وأكفأ عمال العالم .

فإلى الأمام أيها العمال وإلى العلا يدا واحدة وقلبا واحدا . نكتب فى تاريخ مصر صفحة الحرية والمجد والخلود . ولا طريق الى هذا كله إلا بالصناعة . ولا جنود لتلك المعركة غير

العمال . بل ولا حياة للاستقلال السياسى إذا لم يقم الى جواره استقلال اقتصادى ثابت الأركان قوى البنيان . فاحرصوا إذن على هذا المعنى ، وابذلوا فى عملكم جهدا تحمدكم عليه ، واخلاصا تكافئكم من أجله ، وتعاونا على رفعة هذا الوطن لا يدانيكم فيه إنسان .

أيها الاخوان : لست استحل لنفسى هذا التكريم ، ولكنى أرى أنه اعتراف بجميل رفعة الزعيم الأمين ، وبحرص وزراء الشعب على مصلحة الشعب ممثلة فى مصلحتكم .

ولو أن من تكرار القول أن أقرأ عليكم صفحة أعمالنا ، وأذكر لكم قائمة بما تم فى عهدنا . إلا أننى أرانى مضطرا لذلك حتى لا أترك مجالا لتقول المتقولين ، وحتى أثبت للملأ أننا عملنا ونعمل وسنعمل للعمال و إلا كنا غير عاملين .

فهل ينكر أحد أن حكومة الوفد قد وضعت القانون رقم ٦٤ الخاص باصابات العمل فى سنة ١٩٣٦ ، وهو القانون الذى يقرر حق العامل فى التعويض إذا ما وقع له حادث أو أصابه مكروه .

أو هل ينكر أحد أن الوفد هو الذى أصدر (قانون النقابات) فاعترف للعمال بشخصيتهم وأنه أنشأ لهم (صندوق الاعانات) لمساعدة من لا يستطيعون الكسب منهم .

ثم هل ينكر أحد أن الوفد هو الذى ألزم الشركات والهيئات باستعمال (اللغة العربية) فى علاقاتهم بمصالح الحكومة ، فأفسح بذلك مجال العمل لشباب مصر المتعلمين والمتعطلين ؟ .

وهل ينكر أحد أن حكومة الوفد الحاضرة هى التى وضعت (قانون عقد العمل الفردى) الذى ينظم حقوق وواجبات كل من العمال وأصحاب الأعمال ؟ والذى صادق عليه برلمان الأمة بالأمس القريب .

أوهل ينكر منكر أننا بذلنا الكثير من الجهود لانشاء المساكن والمطاعم العمالية ، وأننا تشجيعا للنقابات وحثها على الاهتمام بشؤون أعضائها قد خصصنا مبلغا كبيرا من المال يوزع على ما يثبت منها حسن نظامها وصلاحيتها ؟ وأننا أرسلنا وفدنا كاملا يمثل مصر فى مؤتمر العمل الدولى بأمريكا ، مثل العمال فيه أحسن تمثيل .

أجل — أيها العمال — لا يستطيع أحد أن ينكر ذلك . بل ولا يستطيع أن ينكر أننا قد استصدرنا الكثير من الأوامر العسكرية التى نرمى من ورائها إلى تحسين حال الصناعة والصناع . ورفع مستوى العمل والعاملين . منها الأمر العسكرى رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ الخاص (بلجان التوفيق بين العمال وأصحاب الأعمال) والأمر العسكرى رقم ٣٥٨ لسنة ١٩٤٢ الذى يقضى بصرف (إعانة غلاء معيشة لعمال المحال التجارية والصناعية) ووضع حد أدنى لأجور هؤلاء العمال . ثم الأمر العسكرى رقم ٤٥١ لسنة ١٩٤٣ الخاص بزيادة هذه الاعانة وكذا الأمر العسكرى رقم ٤٩٦ لسنة ١٩٤٤ الذى يوجب تقديم وجبة غذاء فى مديريتى قنا وأسوان ، وفى منطقة البحر الأحمر — للمستخدمين والعمال

الذين يشتغلون فى المحال الصناعية أو التجارية أو فى الدوائر الزراعية التى يزيد زمامها على مائتى فدان .

هذا هو ما صدر فعلا من الأوامر والتشريعات ، فهل اكتفينا بهذا — أيها العمال ؟ لا وربى — فهناك فى طريقه الى البرلمان غيره كثير ؛ أذكر منه على سبيل المثال (مشروع قانون عقد العمل المشترك) الذى هو اتفاق يراد به تنظيم شروط العمل التى تبرم بين نقابة أو أكثر من النقابات العمالية ، أو اتحاد أو أكثر من الاتحادات العمالية ، وتحديد الفئات الدنيا للأجور وساعات العمل والإجازات وغير ذلك .

وقد انتهينا منه وأرسلناه الى اللجنة التشريعية . .

وهناك أيضا (مشروع قانون التأمين الاجبارى) ضد المرض والعجز والشيخوخة والوفاة ، ذلكم القانون الذى أرى أنكم فى أمس الحاجة اليه . لأنكم تعلمون أن العامل — وعلى الخصوص فى مصر — كثيرا ما تمر به فترات شديدة العسر ، تمتنع عليه خلالها سبل الكسب ، وأنه قد يصاب بمرض أو يقع له حادث أو تدركه الشيخوخة أو يموت فى سن مبكرة تاركا وراءه أسرة لا عائل لها سوى الله .

لذلك عملنا على أن يكون علاج المرضى وصرف الدواء لهم بالمجان ، بل راعينا أن يصرف للعمال اعانة أسبوعية فى حالة المرض ، ومعاشا شهريا مدى الحياة فى حالة الشيخوخة أو العجز عن العمل .

وهناك غير ذلك مشروع قانون (تنظيم ساعات العمل) فى المحال التجارية ودور العلاج والذى بعث على وضع هذا المشروع هو أن مستخدمى هذه المحال قد نادوا منذ زمن بعيد بضرورة تحديد ساعات العمل ، وأقرهم على هذه الرغبة كثير من أصحاب الأعمال .

لهذا سارعنا بوضع هذا التشريع حماية لصحة العمال ، متضمنا ثلاثة مبادئ هامة : أحدها تحديد ساعات العمل بما لا يزيد على تسع ساعات فى اليوم — لا تدخل فيها فترات الراحة وتناول الطعام .

وقد انتهينا من هذين المشروعين وهما الآن كمشيقهما فى اللجنة التشريعية يراجعان تمهيدا لعرضهما على البرلمان .

وهناك غير هذا كله (مشروع قانون البطاقات الشخصية) التى يحتاج اليها العامل المصرى لاثبات شخصيته ومدة خدمته . وقد انتهت اللجنة التشريعية فعلا من نظره وأحيل أخيرا على البرلمان

أيها العمال : خبرونى بربكم ؟ كيف أنتم اليوم ؟ كيف أنتم وهذه مؤتمراتكم تعقد ، ونقاباتكم تجتمع ، وصحفكم تطبع ، وروابطكم وجمعياتكم تؤلف ، وكلمتكم تعلو وترتفع ، والدنيا من حولكم تصغى اليها وتستمع .

كيف أنتم وزميلكم فى مؤتمر العمل الدولى بأمريكا ، قد أوفدته الحكومة الشعبية ليتحدث باسمكم ، إلى جانب مندوبى الحكومة وممثلى أصحاب الأعمال ؟

كيف أنتم وكيف حالكم فى رحاب هذه القوانين العمالية التى صدرت ، والقوانين العمالية التى ذكرت لكم أنها الآن فى طريقها إلى البرلمان ؟

والله — لقد فتح الزعيم النقى بيده البيضاء أمامكم باب النهضة بالرقى ، وتبعه وزراء الشعب فى هذا الميدان ، يعطفون عليكم ويشدون من أزركم . وانى لأقف الآن بينكم واحدا منهم وواحدا منكم — فى الوقت عينه — أحمل إلى الزعيم والى زملائى رغباتكم ، واعتبر نفسى لديهم محاميكم ، أنقل اليهم ما ترجون وما تأملون ، فاذا هى بعد حين من أمهر تشريعات وقوانين ، بل إذا هى تخرج اليكم صكوك تحرير من نير العبودية ، التى تجرعتم كأسها طوال السنين حيث عملتم للكل كل ما يريدون ، ولم يعمل لكم أحد شيئا مما تريدون !

أظنكم تعرفون هذا كله حق المعرفة ، وأحسبكم تقدرون ذلك كله حق قدره ، وإلا لما أقمتم اليوم هذا الحفل . ولما أبديتم الآن هذا الشعور ! وانه لحفل مبارك فى أوله وآخره ، وشعور طيب مقدس فى باطنه وظاهره . . حفل لعمال القاهرة وعمال الأقاليم ، وشعور لعمل نقابة واحدة يمثل احساس كل النقابات ، احساس بالفرق البعيد بين حال العمال اليوم وحالهم بالأمس . . ولا أريد أن أتحدث عن الماضى لأنى لست مغرما بنبش القبور ! ولكنى أتحدث عن اليوم — واليوم يحلو الحديث — لأنه حديث النهضة والاتحاد ، حديث رجل إلى رجال . . بل حديث عامل إلى عمال .

أيها الأصدقاء — لا يختلف اثنان على أن العامل المصرى قد اكتملت له أسباب الرقى ، وتوفرت لديه وسائل النهضة ، وأصبح بيده وحده أن يقرر مصير نفسه ، وان يأخذ من الحياة بقدر ما يعطى ، وأن يكافأ بقدر ما يتعب ، وأن يتقاضى قطرات عرقه حياة موفورة لا ضغط فيها ولا ارهاق ، لا بؤس فيها ولا فاقه ، لا ذل فيها ولا ظلم . حياة كل مواطن كريم ، له من الحقوق مثل ما عليه من الواجبات .

ولا يختلف اثنان على أن العالم الجديد سيقوم أول ما يقوم على الصنعة والصناعة وحدها — ولعله من كرم الله وحسن توفيقه ، أن هيأ للعامل المصرى من الأسباب ما ذكرت . وكتب له من النصر ما بينت . . ومن هذا أستطيع أن أقول لكم إن مصر الحديثة : مصر فى عهد السلام القريب ، مصر النهضة إلى مكانها السابق تحت الشمس ، مصر الفتية القوية المملوءة أملا وحيوية ، مصر التى تحبونها وتحبكم ، وتكرمونها وتكرمكم . . أقول لكم إن مصر هذه قد اعتزمت أن تكون فى العالم الجديد قوة مستقلة ، وركنا عزيزا الجانب ، وميزانا عدلا بين الشرق والغرب ، وعلما خفاقا يزعم منارة للعالم كسابق عهدها فيه . . ولن يتم لها شىء من هذا كله إلا بكم — بكم أنتم أيها العمال — والمصنع الذى تعملون فيه ، وما يحويه من رجال وأعمال . فاستعدوا للقيام بواجبكم . فان المصنع وحده هو الذى سيقرر مصير هذه الحرب ، وهو وحده الذى سيكتب وثيقة السلام .

أيها الرفاق : إنى لأشعر الآن بما تشعرون وأحس بما تحسون ، أشعر بما على العمال عند الدولة من حقوق وما للدولة قبل العمال من واجبات . . . ولكن الحكومة الحاضرة — ككل حكومة وفدية — هى حكومة الطبقة العاملة والعمال فى مصر هم عصب الحياة فى وهم سواد هذا الشعب ، بل هم الشعب نفسه ، الذى تمثله هذه الحكومة أحسن تمثيل . . فالحقوق والواجبات هنا فى كفاف واحد . والتعاون بين الاثنين كالتعاون بين الأبناء والوالد ، أو بين الأمام والمصلين . . فأدوا واجبكم — أيها الرفاق — ونحن نعرف ما علينا لكم من الواجبات . نعرف رغباتكم وآمالكم ، ونحن ساهرون على تحقيقها ، عاملون على تنفيذها ، سعداء بأن نحقق كل ما تطمحون اليه من أمان وآمال .

فعلى بركة الله سيروا ، معتصمين بحبل الله جميعا غير متفرقين ، وتعاونوا على البر والتقوى واشكروا الله على ما نالكم من خير — اشكروه شكرا عمليا باحسانكم لما تعملون ، واخلاصكم فيما تؤدون — واذكروا دائما أنكم وأصحاب الأعمال أسرة واحدة لا سيد فيها ولا مسود ، لا قوى فيها ولا ضعيف .

واعلموا أن رأس المال أمانة فى أيديكم لأصحاب الأعمال ، فتعاونوا على تنميته ، واخلصوا فى زيادته ، والقانون معكم يأخذ لكم منه بقدر ما تعطون للانتاج ، ويحسن اليكم بقدر ما تحسنون الى الصناعة أعم الرواج .

لقد مضى وانقضى ذلك الزمن الذى كان ينظر العامل فيه الى صاحب العمل نظرة الخصم ، فاليوم يضمن القانون للفريقين مساواة وعدلا ، وعلى أفراد الفريقين أن يعرفوا ذلك ويقدروه . على العامل أن يخلص وله أن ينال حقه ، وعلى صاحب العمل أن يعدل وله أيضا أن ينال حقه .

فاذا ما تم لنا ذلك ، استطعنا أن نتفاءل وأن نستبشر بمستقبل لمصر سعيد ، بل وأن ننتظر لها منذ اليوم فى الوجود أعز مكان .

أما أنتم يا عمال الترام ، فلم نعمل من أجلكم غير ما يمليه واجبنا نحوكم فاذا رأيتم فى قسمة الزيادة التى طرأت على أجور الترام بينكم وبين الشركة ، ما يسمى عدلا أو مكرمة ، فهذا أمر لا نرى فيه غير الواجب والأمانة ، الواجب الذى دفعنا الى الموافقة على هذه الزيادة والأمانة التى راعيناها فأعدنا ما جمع من الشعب لطائفة من أبنائه ، ، شأننا فى ذلك معكم هو شأننا مع جميع زملائكم ، نرمى به الى الوصول بالعامل المصرى الى أعلى مراتب العزة والرقى والكمال .

وليس هذا بالكثير عليكم يا عمال الترام ، فأنتم الذين تضحون بالكثير من وقتكم فى خدمة الشعب ، وتبذلون من جهدكم الكثير لراحة أبناء الشعب .

ولكن ما دامت هذه نوايانا نحوكم ، وما دام ذلك هو مدى رعايتنا لمصالحكم واهتمامنا بشؤونكم ، فان الواجب يقضى عليكم أن تزيدوا من جهدكم لراحة الناس ، وأن تعتبروهم

ضيوفكم ولا تعتبروهم عملاءكم، فليسوا كلهم من الرجال - بل فيهم السيدات، وفيهم الأطفال وفيهم بعد ذلك شيوخ ضعاف ، كل أولئك فى حاجة الى الاهتمام بهم وتحرى الدقة والأناة حال ركوبهم وحال نزولهم — صيانة لهم من الأخطار —

واعلموا أنكم من الجمهور والجمهور منكم، وأنه قد رضى بزيادة الأجور لأن هذه الزيادة سيعود نصفها لكم ، فأشعروه بأنكم تخدمونه وتحبونه ، حتى يشعر بأنكم نعم الأبناء البررة الأوفياء .

أيها العمال : إذا قلت لكم إن حفلكم هذا ، وصوتكم هذا ، هو وسام تخرلى ، فانما أقول ذلك لأننى أستطيع بعدها أن أتقدم الى زعيمنا المصطفى فأقول له : لقد شكر العمال لنا ما أعطيناهم ، وتعهدوا بتأدية ما عليهم من الواجبات ، فانزدهم عطفا على عطف، ورعاية فوق رعاية ، فانهم أهل لهذا العطف ، جديرون بهذه الرعاية . بل ولقد كانوا لنا السند فى الملمات ، وهاهم اليوم يعترفون بما قدمنا لهم من جليل خدمات .

وفقنا الله للمزيد، حتى يطلع عليكم كل يوم بما هو نافع وجديد ، فى ظل حضرة صاحب الجلالة مليك مصر وعاملها ، راعى فلاحها ونصير عاملها — فاروق الأول — حفظه الله وأدام علاه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

فؤاد سراج الدين

قالوا الارادة قلت لا تجدى الفتى
حتى تمد إليه حادثة يدا
فانصب لصيد الحادثات حبائلا
إن اللبيب إذا سنحن تصيدا

شوقى